

قصص الأنبياء

وقد كان للخليل بنون كما ذكرنا ولكن أشهرهم الأخوان النبيان العظيمان الرسولان أسنهما وأجلهما : الذي هو الذبيح على الصحيح إسماعيل بكر إبراهيم الخليل من هاجر القبطية المصرية عليها السلام من العظيم الجليل .

ومن قال : إن الذبيح هو إسحاق وإنما تلقاه من نقلة بني إسرائيل الذين بدلوا وحرفوا وأولوا التوراة والإنجيل وخالقوا ما بأيديهم في هذا من التنزيل فإن إبراهيم أمر بذبح ولده البكر وفي رواية : الوحيد .

وأيا ما كان فهو إسماعيل بنص الدليل ففي نص كتابهم : أن إسماعيل ولد لإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة وإنما ولد إسحاق بعد مضي مائة سنة من عمر الخليل لإسماعيل هو البكر لا محالة وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة .

أما في الصورة فلأنه كان ولده أزيد من ثلاث عشرة سنة وأما أنه وحيد في المعنى فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر وكان صغيرا رضيعا - فيما قيل - فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي الجبال التي حول مكة نعم المقييل وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل وذلك ثقة باء وتوكلا عليه فحاطهما الله تعالى بعنايته وكفايته فنعم الحسيب والكافي والوكيل والكفيل .

فهذا هو الولد الوحيد في الصورة والمعنى ولكن أين من يتفطن لهذا السر ؟ وأين من يحل بهذا المحل ؟ والمعنى لا يدركه ويحيط بعلمه إلا كل بنيه نبيل ! ! .

وقد أثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة رب الأرباب قال الله تعالى : { فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إنني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين } فتأوى أباه على ما إليه دعاه ووعد به بأن سيصبر فوفي بذلك وصبر على ذلك .

وقال تعالى : { واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا للوعد وكان رسولا نبيا * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا } وقال تعالى : { واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنيهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار } وقال تعالى : { وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين * وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين } وقال تعالى : { إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط { الآية .

وقال تعالى : { قولوا آمنا بآبائنا وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط } الآية ونظيرتها من السورة الأخرى وقال تعالى : { أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله } الآية . فذكر الله عنه كل صفة جميلة وجعله نبيه ورسوله وبرأه من كل ما نسب إليه الجاهلون وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون .

وذكر علماء النسب وأيام الناس : أنه أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحوشا فأنسها وركبها وقد قال سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : [اتخذوا الخيل واعتقبوها فإنها ميراث أبيكم إسماعيل] . وكانت هذه العرب وحوشا فدعا لها بدعوتها التي كان أعطي فأجابته وأنه أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق وأهل اليمن ومن الأمم المتقدمين من العرب قبل الخليل .

قال الأموي : حدثني علي بن المغيرة : حدثنا أبو عبيدة مسمع بن مالك عن محمد بن علي ابن الحسن عن آباءه عن النبي A أنه قال : [أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة] فقال له يونس : صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني .

وقد قدمنا أنه تزوج لما شب امرأة من العماليق وأن أباه أمره بفراقها ففارقها قال الأموي : وهي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي ثم نكح غيرها فأمره أن يستمر بها فاستمر بها وهي السيدة بنت مضا بن عمرو الجرهمي وقيل هذه ثالثة فولدت له اثني عشر ولدا ذكرا وقد سماهم محمد بن إسحاق C وهم : نابت وقيذر وأزبل وميشي ومسمع وماش ودوصا وأرر ويطور ونبش وطيفا وقيزما وهكذا ذكرهم أهل الكتاب في كتابهم وعندهم أنهم الاثنا عشر عظيما المبشر بهم المتقدم ذكرهم وكذبوا في تأويلهم ذلك .

وكان إسماعيل عليه السلام رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته " نسمة " من ابن أخيه " العيص " بن إسحاق فولدت له الروح ويقال لهم بنو الأصفر لصفرة كانت في العيص وولدت له اليونان في أحد الأحوال ومن ولد العيص الأشباب قيل منهما أيضا وتوقف ابن جرير C .

ودفن نبي الله ﷺ إسماعيل بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة . وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : شكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه D حر مكة فأوحى إليه : إني أفتح لك بابا من الجنة إلى الموضع الذي تدفن فيه يجرى عليك روحها إلي يوم القيامة .

وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه : نابت وقيدار .

* * *